خطبة جمعة بعنوان/

جُحر الضب

لفضيلة الشيخ الدكتور

مطلق الجاسر

حفظه الله

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾[الأحزاب: ٧٠- ٧١].

أَمَّا بَعْدُ:-

عباد الله، لا يخفى على أحد أن سلوك الإنسان وأفعاله وأقواله وحياته لا بد أن يكون لها أساس قلبي، ففعلك وتحركاتك ليست عبثية، لا بد أن يسبقها نوع من الاعتقاد، ونوع من المحبة والانقياد لشيء ما، فإذا ما أحببتَ شيئًا سعيتَ له، وصارت تصرفاتك ساعيةً له، وإذا ما أحببت واعتقدت في إنسان سعيتَ للتشبه به، ولتقليده، وللاهتداء بهديه، فلا انفكاك بين الهدي الظاهر، وبين الهدي الباطن، هذا أمر لا يختلف عليه اثنان من العقلاء.

لذلك العملية تبادلية، بمعنى أن الاعتقاد الباطني يورث العمل والتشبه، كما أن التشبه يورث الاعتقاد الباطني، فإذا ما تشبهتَ بالإنسان، وتتبعت أقواله فقلتها، وهيأتها فاقتديتَ بها، وأفعاله ففعلتها، فإن ذلك يورث في قلبك حبًّا، ونوعًا من الإيمان بهذا الإنسان، ومن هنا نفهم نهي النبي

ﷺ عن التشبه بغير المسلمين، كما روى الإمام أبو داود في سننه، والإمام أحمد في مسنده بإسناد جيد أن النبي ﷺ قال: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ».

مَنْ تشبه بقوم في أفعالهم وأقوالهم وما يختصون به فهو منهم، والمعنى في هذا الحديث دقيق؛ لأن هذا التشبه في الظاهر يورث لدى الإنسان تشبهًا حتى في الباطن، وحبًّا وانقيادًا، وعدم تمايز بينك وبينه، لذلك إذا نظرتَ في أحاديث النبي ﷺ بل إذا نظرتَ في كتاب الله تعالى قبل ذلك تجد النهي تلو النهي عن التشبه بالكافرين، وعدم الاقتداء بأفعالهم، وبيان التمايز بين المسلم والكافر، ولا يعني ذلك الاعتداء والظلم، أو العدوان، فهذا شيء آخر، لكن يجب أن يعتقد المسلم بأن هذا الإنسان مهما بلغ في دنياه أنه غير مسلم، ويجب أن يعرف أن بينه وبينها فرقًا في عقيدته، يحب له الخير، نعم، يسعى لهدايته، نعم، لا يظلمه، نعم، لا يعتدي عليه، نعم، يتعايش معه، نعم، لكن لا يكون هو معه على حدٍّ سواء في عقيدته.

لذلك نهى النبي ﷺ في عدة أحاديث عن التشبه بالكفار، وحثَّ على مخالفتهم، ففي الصحيحين قال النبي ﷺ: «خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ أَحْفُوا الشَّوَارِبَ، وَأَوْفُوا اللِّحَى»، في عدة نصوص، ولاحظ كيف أنه ﷺ قدم لهذا الأمر بالأمر بمخالفة المشركين، وقال ﷺ: «اصْبَغُوا، خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ»، يعني: اصبغوا الشيب، ولما قيل للنبي ﷺ: إن اليهود إذا حاضت فيهم المرأة بنوا لها خيمة خارج البيت فلم يؤاكلوها ولم يشاربوها؛ لأنهم يعتقدون أن أصبحت نجسة، قال النبي ﷺ: «اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النِّكَاحَ». فقالت اليهود بعدما سمعوا هذه الآثار والأحاديث المتتابعة التي يحثُّ فيها النبي ﷺ على مخالفتهم، قالوا: والله ما جعل هذا الرجل شيئًا لنا إلا خالفنا فيه.

لماذا؟ لأن النبي ﷺ أراد للمسلم أن يعتزَّ بدينه، وألا يكون تبعًا لغيره، أن يكون معتزًّا بعقيدته، بإسلامه، بدينه، وألا يذوب مع غيره، أن يكون عصيًّا عن الذوبان في الثقافات الأخرى، وفي الأديان الأخرى، وفي المعتقدات الأخرى، معتزًّا بإيمانه، بإسلامه، وبعقيدته، لا ينقاد مع غيره انقيادًا أعمى، وتبعية عمياء، لذلك نعى النبي ﷺ بعض المسلمين في آخر الزمان قال: «لَتَتْبَعُنَّ

سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا شِبْرًا، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اليَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ ﷺ: «فَمَنْ؟». أي: مَنْ القوم إلا أولئك.

هذا الحديث وإن سِيقَ سياق الخبر بما سيحدث، لكنه سِيق سياق الخبر على هيئة الذم، فهذا أمر منهي عنه ومذموم، فإن قال قائل: هذا الأمر أخبر عنه النبي ﷺ بأنه سيحدث، فلا بد أن سيحدث، بل حدث، فما فائدة النهي طالما أنه سيحدث؟ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه (اقتداء الصراط المستقيم في مخالفة أهل الجحيم) جوابًا على هذا السؤال: أن في هذا فوائد:

أولًا: أن ليست كل الأمة ستتبع سَنَنَ اليهود والنصارى، بل ستبقى طائفة من هذه الأمة متمسكة بدينها، ظاهرة به حتى تلقى ربها، فمن فوائد هذا الحديث تكثير هذه الطائفة، مع يقيننا أنه سيقع من المسلمين هذا التشبه، لكن ليس كلهم، فلنُقلل هذا التشبه، هذا أولًا.

ثانيًا: حتى يُعلَمَ أن هذا خطأ، فليس كل ما يُفعل صواب، وفعل الإنسان الخطأ مع اعتقاده أنه خطأ أخف من فعله له مع اعتقاده أنه صواب، وأقرب إلى الرجوع عن الخطأ إلى الصواب.

لذلك –إخواني الكرام– قد أكمل الله لنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هذا الدين، قال سبحانه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

قد أكمل الله لنا ديننا، فلا نقص فيه، ولنا أعيادنا، فلا نقص فيها، ولنا لغتنا، فلا نقص فيها، ولنا حضارتنا، فلا نقص فيها، وكل شيء عندنا بفضل الله، فلمَ البحثُ عن الذات عند الآخرين؟ إن البحث عن الشيء علامة على النقص، مَنْ يبحث عن مفقود عنده لدى الآخرين متشبهًا بهم، محاولًا تقليدهم دليل على النقص، ودينك، وثقافتك، وحضارتك لا نقص فيها بوجه من الوجوه بحمد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فلمَ البحث عن الذات عند الآخرين؟ هل عندك نقص؟ مثلك كمثل رجل يعيش في قصر، يملأه الطعام الطيب، وكل شيء عنده، وعنده من المال، وعنده من النعيم، ثم يخرج من هذا القصر ويتسول في الشارع، عقدة النقص مثل ذلك كمثل غني يسرق، عنده كل خير، ويبحث عن الآخرين.

أخي المسلم، عندك ما يكفيك من ثقافتك، ومن دينك، ومن لغتك، فلا تبحث عن مفقود لدى الآخرين؛ لأن الله ﷻ قد أتم عليك النعمة.

بارك الله لنا ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مَنْ لا نبي بعده محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنَّا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

عباد الله، إذا بَيَّنَّا نهي القرآن والسنة عن التشبه بغير المسلمين، وبيَّنَّا أن القرآن والسنة يحثان المسلم على الاعتزاز بدينه وعقيدته، فلا بد أن نبين أن الإسلام لا يعني أنه ينهاك عن أن تعيش مع الآخرين، أو أن تستفيد منهم، فقد استفاد النبي ﷺ من غير المسلمين، وكان يستدل بهم فيما لا يخالف الدين، في صحيح مسلم على سبيل المثال، قال النبي ﷺ: «**لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَنْهَى عَنِ الْغِيلَةِ**»، والغيلة هي أن يأتي الرجل زوجته وهي ترضع، وكانت العرب تعتقد أن هذا الأمر مضر بالصحة، وأنه يجعل الولد الذي يرضع به نوع من الخلل، لاحظ قال النبي ﷺ: «**لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَنْهَى عَنِ الْغِيلَةِ، حَتَّى ذَكَرْتُ أَنَّ الرُّومَ وَفَارِسَ يَصْنَعُونَ ذَلِكَ، فَلَا يَضُرُّ أَوْلَادَهُمْ**».

إذن استفاد النبي ﷺ من تجارب الآخرين، من تجارب فارس والروم بما لا يقدح في دينه وعقيدته، استفاد النبي ﷺ من سلمان الفارسي فكرة الخندق، وهي فكرة فارسية، ولم يقل النبي ﷺ: لا نستفيد منهم؛ لأنهم كفار، قيل للنبي ﷺ: إن الملوك لا تقبل كتابًا إلا مختومًا، فأمر أن يُصنَع له خاتم؛ حتى يُكاتب الملوك.

إذن لا مانع أن يستفيد المسلم من غير المسلمين فيما تفوقوا به من الأمور العلمية أو التقنية أبدًا، لكن مع الأسف الشديد، بعض الشباب وبعض المسلمين ترك هذه الأمور التقنية، وترك تفوقهم فيها، وتقدمهم فيها، وتشبه بالتوافه، وتشبه بأقذر ما عندهم من الصفات، فما فائدتك إذا تشبهت بأشكالهم وتركت عقولهم، إذا كان لا بد من التشبه فتشبه بعلمهم، تشبه بتقنيتهم، تشبه بإتقانهم، ما بالك لا تأخذ من هذه الذراع إلا وشمها، وتترك إتقانها؟! وهل تظن أنك بذلك

قد تقدمت؟ أنت لم تأخذ إلا الرسم الظاهر، أخذت الوشم، وأخذت قصة الشعر، وأخذت اللباس، ألا أكملتَ وأخذت العقل والتطور التقني، لكنهم مع الأسف لا يفعلون ذلك إلا مَنْ رحم الله.

ديننا لا يمنعنا أن نتشبه بهم وأن نستفيد منهم في تقنياتهم بما لا يقدح ديننا، ولا يلغي عقيدتنا، ولا يخالف شريعتنا، لكن التشبه بالسفاسف، والتشبه بأعظم من ذلك بالأعياد بأعيادهم، ماذا استفدتَ؟ بماذا استفدتَ إذا احتفلت بعيد لهم مثلًا؟ بماذا أفدتَ أمتك؟ ماذا صنعتَ؟ بماذا طوَّرتَ؟ لا شيء إلا إلغاء ذاتك، والانطباع بطباع الآخرين فقط، لكن هل استفدتَ من تقنيتهم وعلمهم؟

يجب أن نميز –إخواني الكرام– في استمدادنا من غير المسلمين بين هذين الأمرين، بين ما يلغي ثقافتنا، أو لا فائدة منه من سفاسف الأمور الذي يورث التشبه في الباطن، وبين التقنية والعلم والتطور الذي نعترف أنهم قد تفوقوا علينا فيه، هذا شيء، وهذا شيء آخر، لم يمنعك الإسلام من الاستفادة من علمهم وتقنيتهم، أما الاستفادة بما دون ذلك من سفاسف الأمور، فإياك إياك، حتى لا تكون في قول النبي ﷺ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ».

وأمثلة ذلك في سيرة النبي ﷺ، وسيرة أصحابه كثيرة جدًّا، لذلك –إخواني الكرام– أختم كلامي بأن هذه الحياة التي نعيش فيها، هي في النهاية مؤقتة، وأننا سنرد على الله ﷻ، وأن كل ما في الحياة الدنيا مما لا يُراد به وجه الله سيكون هباءً منثورًا، سيُلغى ولا يبقى إلا ما قدَّمتَه لوجه الله ﷻ، لا يبقى إلا ما أردتَ به وجه الله ﷻ، فالذي يحدد مصيرك في الآخرة هو دينك، وعبادتك، ومعتقدك، وما سوى ذلك فهو مؤقت، حتى جسدك الذي تعيش فيه الآن مركبة مؤقتة ستزول في يوم من الأيام وتتحلل، ولا يبقى إلا روحك، وما عملتَه من عمل سترد به على الله ﷻ.

أسأل الله أن يلطف بنا وبكم، وأن يحشرنا وإياكم في مستقر رحمته، وأن يعفو عنا، وعن إخواننا المسلمين في كل مكان، وأن يوفقنا وإياكم لما يحب ويرضى، اللهم اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبِّت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين، اللهم لا تدع لنا في مقامنا هذا ذنبًا إلا

غفرتَه، ولا عيبًا إلا سترتَه، ولا همًّا إلا فرَّجتَه، ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة إلا يسَّرتها وأتممتها يا رب العالمين. اللهم فرِّج هم المهمومين، ونفِّس كرب المكروبين، واقضِ الدَّين عن المدينين، واشفِ مرضانا ومرضى المسلمين، وارحم موتانا وموتى المسلمين.

عباد الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

فاذكروا الله يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].